

المحاضرة الأولى: جغرافية القطر الجزائري

كانت كلمة "ليبيا" أو "لوبييا" في التاريخ القديم تطلق على أقطار شمالي إفريقيا الأربعة: ليبيا، تونس، الجزائر، والمغرب الأقصى التي تسكنها عناصر وأقوام من البربر عاصروا الفرس واليونان وغيرهم، وأسسوا لهم ممالك وحكومات وطنية مستقلة متعددة. ثم بطول الزمن وحدثت الخلافات والنزاعات فيما بينهم؛ تغلب عليهم بعض تلك الدول المعاصرة مثل الرومان. وفي الفترة التي سيطر فيها الفينيقيون على هذه البلاد أطلقوا عليها كلمة "أفري". وعندما جاء الرومان أطلقوا اسم "إفريقيا – Afrique".

أما إقليم الجزائر الحالي فكان من بين قراء الهامة آنذاك "آرغل" التي في لسان البربر "آرغل" أي المكان المستور العميق. وورد في أساطير اليونان أن هرقل استقرّ فيها مع أصحابه العشرين، فعرفت بهم "ايكوسي" بمعنى مدينة العشرين. ولما جاء عهد القرطاجيين وتأسس بها مرساها التجاري؛ حولها الفينيقيون بعد عدة قرون إلى ثغر بحري هام لاستقبال وتصدير واردتهم التجارية، واتخذوها قاعدة للشحن والتفريغ، وقد حرفوا اسمها ودعوها "ايكوسيم-أو اكوزيم- Ecosim" بمعنى جزائر-الحمام أو جزيرة الشوك أو جزيرة الطيور غير الطاهرة، واحتفظ الرومان بعد ذلك بهذه التسمية مع شيء من التصحيف، وصاروا يطلقون عليها "اكوزيوم –أو- ايكوسيوم –Ecisiom"، ثم خربها الوندال على عهدهم... وبقيت كذلك إلى أن جدّد الروم بناءها، وفي القرن الثاني للهجرة؛ استوطنت بها القبيلة البربرية "مزغانان" أو "مزغناي" أو "مزغني"... وهي بطن من بطون صنهاجة... ويومئذ اشتهرت المدينة باسم "قلعة-بني- مزغني"... وفي أواسط القرن الرابع الهجري (362 هـ/ 973م) مصرها الأمير بلكين بأمر والده عاهل صنهاجة: زيري بن مناد الصنهاجي، فنسبت تلك البلدة إليها، ودعيت "جزائر بني مزغنة"، واحتفظت بهذا الاسم حتى فتح الأتراك العثمانيون هذه البلاد في مطلع القرن 16 م (1514م)، فاختصروا هذا الاسم، وأطلقوا على المدينة اسم "الجزائر"، ومن ثم أصبحوا يسمون الإقليم كله "سلطنة الجزائر". ومنه نجد أن "الجزائر" اسم عربي صميم لعاصمة الوطن وأم القطر، ولم يكن ليطلق هذا الاسم على الإقليم كله إلا منذ العصر التركي فقط (القرن 10 هـ/ 16م). أما قبل ذلك فلقد كان يعرف عند العرب بالمغرب الأوسط؛ وذلك لتوسطه بين المغربين الأقصى والأدنى: مراكش وتونس.

وأوضح الروايات في إطلاق اسم الجزائر على هذه المدينة؛ هو أنه كانت أمام شاطئها صخور كبيرة متجاورة تشبه الجزر في شكلها ووضعها الطبيعي، إذ يذهب الدكتور محمد بن أبي شنب إن السبب في تسميتها بالجزائر يعود إلى وضعيتها الطبيعية، حيث أنه كان هناك تجاه هذه المدينة أمام المرسى القديم صخور أربعة متجاورة تشبه الجزر، منها الصخرة أو الجزيرة الكبرى المعروفة باسم سطفلة، وهي التي بنى عليها الإسبان قلعتهم المشهورة أو حصنهم المعروف باسم "البنين" سنة 915 هـ/ 1510، ومنها صخرة الجفنة المشهورة، ثم كان ردم ما بين تلك الجزر الأربعة وضمها إلى بعضها بإشارة المهندس موسى-الأندلسي؛ وإشرافه على ذلك بنفسه. فوصل ما بين تلك الصخور بالأتربة وضممت إلى بعضها البعض، وربطت إلى بعضها بشاطئ المدينة بواسطة رصيف طويل وعريض. وشيد في نهايته مركز عسكري "إقامة أمير البحر" ما زال حتى اليوم؛ يسهل بأهمية موقع هذه المدينة، ومن يومئذ دعيت هذه البلدة باسم: مدينة الجزائر. وقد هدم الأتراك هذا الحصن الإسباني على عهد خير الدين بربوس سنة 1530م.

أما موقع هذا الوطن الطبيعي فهو عبارة عن قطعة من الأرض هي واسطة عقد الشمال الإفريقي؛ والدرّة الوهاجة في تاجه الثمين، وإن شئت فقل قلب الدنيا. وليست هناك حدود طبيعية تفصله عن القطرين الشقيقتين: تونس ومراكش سوى خطوط اعتبارية وضعتها يد السياسة مراعاة لاختلاف مصالح إدارة الحكومات التي توالى على هذه الأقطار.

لقد قسمت السياسة هذا الوطن في القديم إلى ثلاثة أجزاء متساوية:

- نوميديا وتمثل الجزء الشرقي الجزائري.
- موريطانيا: جزءه الغربي.
- جيتوليا أي ناحية الجنوب.

أما الحدود الشرقية؛ فقد وضعها الأتراك منذ أن سيطروا على شمالي إفريقيا في القرن 16م؛ بعد انفصال إقليم تونس عن سياسة الجزائر، بموجب معاهدة واد سراط عام 1628م، ثم جددتها السلطات الفرنسية بعد الاحتلال ثلاث مرات عام 1988-1901، 1919م.

وأما الحدود الجنوبية، فقد وضعها الفرنسيون عام 1909م، وتمتد من إقليم فزان إلى صحراء وادي الذهب.

وعلى غرار الحدود الغربية؛ وضع الأتراك حدود الجزائر الغربية؛ ما بينها وبين ملكة مراكش، بعد سفارة الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي عام 1554م؛ التي أسفرت عن حدود فاصلة بين الجزائر والمغرب من ساحل البحر إلى بداية الصحراء، حبيث تم ضبط الحدود بين البلدين بوادي ملوية، ثم جدها الفرنسيون في عدة فترات مختلفة: (اتفاقية لالا مغنية)؛ حيث خططوا الأجزاء الشمالية ما بين الساحل وإقليم وجدة عام 1845-1902-1910-1916م من حدود دائرة بشار وما وراءها إلى الصحراء.

ومن خصائص القطر الجزائري وميزاته التي خصه الله بها، ومنحته الطبيعة إياها: الأرض الجزائرية التي تشتمل على جبال وأنجاد وسهول وتل وصحراء... وأن أحسن بقاع الجزائر وأحصنها وأعناها ناحية التل والساحل، ففيها الغلال وأنواع الحبوب ما جعلها تدعى في القديم "خزينة روما" أو "مطمور روما". وأن أهم هذه النواحي للفلاحة والحرث هي ناحية سهول متيجة، وبونة، والشلف، ووهران... ثم تنتقل طبيعة جنوبا حيث تظهر الهضاب المستوية المرتفعة ومناطق الرعي الأستبسية الواسعة، أما منطقة الصحراء فمناخها كجملة الصحاري في العالم تكاد تكون منعدمة الثمار؛ إلا ما قل ونذر منها في بعض الواحات الخصبة في المناطق التي تتوافر فيها المياه الباطنية؛ أو ما خصتها الطبيعة به من أنواع النخيل والتمر اللذيذ المنتشر في معظم الواحات، ومن أشهرها بسكرة، تقرت، الأغواط، والقلعة، وعين الصفراء، وبشار، وتيميمون، وعين صالح، وتمنراست... وتتمتع بلاد الجزائر بمناخ البحر الأبيض المتوسط في الشمال، ومناخ الصحراء في الجنوب حيث تمتد في العروض المدارية الجافة من 30 إلى ما يقرب من مدار السرطان. وتختلف كمية الأمطار النازلة ما بين الشمال والجنوب، ففي المناطق الساحلية والتالية يغزر المطر ويبلغ متوسطه السنوي إلى 1000 ملم ولا يقل عن 450 ملم. وفي إقليم الهضاب والشطوط يقل المطر ويتراوح ما بين 200 و350 ملم. أما إقليم الصحراء فهو حار وجاف لا تزيد كمية الأمطار النازلة فيه عن 200 ملم. وفي الجزائر ثروة هائلة من الغابات والأشجار المثمرة تحتل الغابات مساحة أربعة ملايين هكتار، وينمو فيها الصنوبر البحري، والحلبي، والفلين، والبلوط، والعرجار، والأرز وغيرها، وتوفر للبلاد الوقود والأخشاب، وتتنوع الأشجار المثمرة إلى زيتون، وتين، ونخيل، وكروم وغيرها من مختلف الأشكال والأنواع، وتكثر الخضروات والنباتات وتحتل الزراعة والفلاحة المرتبة الأولى، ويشغل بها حوالي 80% من الأهالي، وتوفر للبلاد ثروة هائلة من الحبوب يستهلك منها ما يكفي ويصدر الباقي إلى الخارج مثل بقية المنتوجات الأخرى. وتشارك الثروة الحيوانية في تدعيم مركز الاقتصاد الوطني، وتوجد منها مختلف الأنواع المعهودة: البقر، الغنم، والماعز، والإبل، والخيول، والحمير وغيرها. أما المعادن أو قل كنوز الجزائر وركائزها؛ تحتل مركزا ممتازا في الإنتاج الوطني وتطوير الحركة الصناعية؛ إن القطر غني بما أودعه الله فيه من غالب أنواع المواد المعدنية الثمينة، حيث بلغت 148 منجما منتشرة بكامل أنحاء الوطن الجزائري... والجزائر مليئة بكل إمكانيات التصنيع، إذ

حبثها الطبيعة بأرض غنية بمختلف أنواع المصادر، وبطاقة كهربائية، إلى جانب ما تزرع به الصحراء من البترول، وأن من أهم المعادن: الحديد، والسماد، والنفاس، الرصاص، الزنك، القصير والفضة، اليورانيوم، الذهب، الماس، الفحم الحجري والملح....

المحاضرة الثانية

الممالك البربرية

تمهيد:

البربر أمة من أقدم أمم العالم، عاصرت العرب والفرس واليونان والروم، معروفة بعز الجانب والدفاع عن الشرف، وقد زاحمت الأمم ودافعت الملوك عدة آلاف من السنين، حاربت بني إسرائيل بالشام، وهاجرت إلى وطن إفريقية والمغرب فاستولت عليه، واستوطنته بطونها وقبائلها، كانت لها مواقف من الدول العظمى ذات المطامع في وطنها، هاجر الفينيقيون إلى وطن البربر ونزلوا عليهم ضيوفا كراما فأكرمهم وعاشت الأمتان قرونا في وئام.

أصل البربر:

للبحث في أصل البربر توجد طريقتان: طريقة المتقدمين من مؤرخي اليونان والرومان والعرب وتعتمد على الرواية والنقل، وطريقة المتأخرين من مؤرخي الإفرنج تعتمد على الدراية والنظر إلى اللغة والخلق والصناعة.

أ- الطريقة الأولى: انقسم أصحاب هذه الطريقة إلى فرق:

- 1- فرقة ترى أن البربر نشأوا بالمغرب (أفلاطون، فرونال).
- 2- فرقة تقول أنهم إيجيون (من سكان صفاق بحرا إيجيه) (هيرودوتس، ديودور الصقلي، بلوتارك).
- 3- فرقة تقول أنهم ساميون أنساب العرب، ثم اختلفوا من بعده وروى الطبراني أنهم من نسل نقشان أو نقسان ابن إبراهيم عليه السلام.
- 4- فرقة تقول أنهم حاميون: قيل من مصرايم بن حام، وقيل من مازيغ بن كنعان بن حام.
- 5- فرقة تقول أنهم من الفرس وفارس قيل من سام وقيل من يافث.
- 6- فرقة تقول من الهند.
- 7- فرقة تقول أنهم أخلاط من أصول: حيث أن الطبري يرى أنهم من العمالة وهم ساميون ومن كنعان بن حام، وقال المالك بن المرحل: البربر من العمالة وحمير ومضر وقريش (قبائل سامية) والقابط وكنعان (قبيلتان حاميتان باتفاق).

الطريقة الثانية: تبحث في أصل البربر عن طريق الخلق واللغة والصناعة.

- 1- الخلق: توجد في كثير من البربر عرض الأكتاف وضيق الخصر وهذا موجود بالجزائر وتونس، هذه الصفة معروفة بقدماء مصر والإسبان والياسك، يوجد فيهم الشقر بالجبال مثل جرجرة

وأوراس بالجزائر والريف بالمغرب. كما يوجد منهم أقوام سمر اللون قصار القامة، يقال هذه الصفات توجد في سكان الأندلس وإيطاليا وجنوب فرنسا وجزيرتي الكورس وسردينيا.

2- الصناعة: منها أوان طينية تصنع بوطن القبائل وينقش عليها تماثيل، يقال أنه عثر على نظيرها في قبور مصرية ويرجع تاريخها إلى أربعة أو خمسة آلاف سنة قبل الميلاد.

3- اللغة: يقال أنها مشابهة من حيث التركيب لغة قدماء مصر، الحبشة، الصومال، وفيها ألفاظ أوروبية وهندية.

وخلاصة بحث أحد المؤرخين أن أكثر البربر هندیون وأوروبيون أصلا ولغة، وليس في الوطن البربري من الأصل السامي إلا قليل، وملخص أبحاث هذه الطائفة أن البربر ليسوا أمة مستقلة وإنما هي مزيج من أمم شرقية وأوروبية وحديثها الوطن .

هجرة البربر إلى ليبيا:

كان موطن الأمة البربرية الشام ثم انتقلت إلى ليبيا كما نرح إلى هذا الوطن طوائف من أمم أخرى وحصل الاختلاط والامتزاج بين جميع سكان هذا الوطن تحت اسم البربرية، ثم صارت الأمة البربرية ذات وحدة وطنية مركبة من عناصر متعددة ومفرغة في قالب بربري.

ليس العنصر البربري الأصلي أول من عمر ليبيا، فقد مر في الباب الأول أن أمة سبقت البربر إلى هذا الوطن، وقد عبر ابن خلدون عن البربر في ترجمة الكتاب الثالث من تاريخه الهام بقوله: "الأمة الثانية من أهل المغرب".

أوصاف البربر وأخلاقهم:

أما أوصاف البربر فمنها أوصاف عامة وهي: أن البربري وجهه معتدل، خط عينيه مستو، عيناه غير ناتنتين، أنفه متوسط الطول والعرض، أعضاؤه متناسبة، قوي البنية، بشرته بيضاء، وإنما تؤثر فيها الشمس بالسمرة.

أما أخلاق البربر فإنه فلاح مقيم، عامل كئاز، تاجر حادق، شجاع، وقد يكون صا متمردا، حار ينتقم ممن أغضبه، حر متطرف في الحرية إلى درجة أنه يكره الرئاسة عليه، فخور بأصله وعشيرته، هائم بمسقط رأسه حتى إذا فارقه لضرورة بقي حنينه إليه.

هذه الأخلاق ترشد إلى أن البربري محب لجنسه ووطنه مستكمل لصفات العمل لصعادتتهما ودفاع الأجنبي عنهما أو على الأقل عدم الرضى عن سلطته.

وقد كان منهم عظماء في العلوم والمعارف، منهم يوغورطة الذي أبرى في كفاحه للرومان مقدرة فائقة في الحرب والسياسة، ومنهم يوبا الثاني والذي كان من أعظم الفلاسفة وأمهر المؤلفين، ومنهم القديس أوغسطين الذي كان نادرة الوجود علما وفصاحة وإخلاصا وتقوى وتفانيا في خدمة دينه.

أما بعد الإسلام فيكفي أن نلقي نظرة على بعض عواصمهم التي كان من عواصم العلم الكبرى، مثل: تيهرت، بجاية، تلمسان هذا بالقطر الجزائري.

فمن خلقهم عز الجوار وحماية النزيل ورعاية الذمة والوفاء بالعهد وبر الكبير وتوقير أهل العلم.

القبائل البربرية الكبرى:

اتفق النسابون من العرب والبير وتابعهم المحققون من الإفرنج على أن البربر يجمعهم جذمان عظيمان هما: برنس ومادغيس، ويقال في شعوب برنس: البرانس، وهي شعوب مادغيس الأبتري: البتن.

أما البرانس فيتفرعون إلى فروع تجمعها سبعة أصول كبيرة، وهي: كتامة، عجيسة، أوربية، صنهاجة، ازداجة، أوريغة، ومصمودة.

أما البتر فيجمع شعوبهم أربع قبائل كبرى وهي: ضريسة، لواتة، نفوسة، أداسة.

برابرة وطن الجزائر ومراكزهم به:

تقدم أن البربر يجمعهم جذمان عظيمان: برنس ومادغيس، وأن الجذم الأول يشتمل على عشر قبائل عظمى والثاني على أربع.

وقد اختص من تلك القبائل العظمى بسكنى الوطن الجزائري دون سواه ثلاث قبائل: كتامة، عجيسة، ازداجة.

وكان بهذا الوطن أيضا شعوب من بقية القبائل الأخرى ما عدا قبيلتين من قبائل البرانس وهما: تعسكورة، وتزولة، فإنها استطونتا المغرب الأقصى، وما عدا قبيلتين من البر وهما: نفوسة وأداسة فإنهما اقتصرتا على سكن طرابلس.

فأما كتامة فهي من أكثر قبائل البربر عددا وأشدهم قوى، لهذه القبيلة بطون كثيرة (18 بطنا عند ابن خلدون).

حوالي القرن العاشر الهجري اختلطت كتامة بمصمودة وامتزجت بها ومنذ إنهاء تلك البطون التي بقيت لعهدنا هذا جميلة وكتامة كانت تقطن الساحل البحري من بونة إلى بجاية وتمتد في داخل الوطن إلى حدود جبال الأوراس.

أما عجيسة فهي قبيلة من قبائل البرانس كان لها بين البربر كثرة وظهور، كان موطنهم شرق صنهاجة وجنوب زواوة بجبال المسيلة، انكسرت شوكتهم في عهد بل حماد وزاحمهم الهلاليون وأزاحوهم من موطنهم فتفرقوا في قبائل البربر.

وأما ازداجة، فقبيلة عظيمة من البرانس، ويقال أن ازداجة من زناتة، ومركزهم بالمغرب الأوسط بنواحي وهران، وأما صنهاجة فهي قبيلة من قبائل البرانس ونسابة العرب ينسبونهم إلى عرب اليمن، موطنهم بالصحراء إلى السودان والمغرب الأقصى، وبالمغرب الأوسط على ساحل البحر من عمالة الجزائر ووهران ويتقدمون في داخل الوطن إلى سهول الشلف ينتهون غربا بمصب وادي شلف في البحر، ومن قبائل صنهاجة المعروفة إلى اليوم بنو مزغنة أصحاب مدينة الجزائر.

المحاضرة الثالثة

الممالك البربرية

الحياة البربرية:

عرف البربر -كسائر البشر- معدن النحاس فانتقلوا من مدينة العصر الحجري إلى حضارة العصر النحاسي، ومن الآثار النحاسية المكتشفة بالوطن الجزائري: قطع بضواحي مدينة قيسرية، وأخرى مدينة أقيسوم، ووجدت أيضا صفاح نحاسية في مغارة قرب مدينة صلداي.

1-**السكن:** كان الرجل من البربر أهل البيوت التي يخف حملها مهما أربادوا الظعن لانتجاع الكلاء والعشب بمواشيهم، أما المقيمون من أهل القرى والمدن، يتخذون بيوتهم إما من الخشب وإما من الحجارة ويغطون سقفها بالدبس أو غيره من النباتات.

2-**الملبس:** كانت ملابس البربر من الصوف، منها البرنس، ووصف ابن خلدون برانس البربر بأنها كحل، والبربر معروفون بالمحافظة على العوائد العتيقة. كذلك القشابية، وهي ثوب أعلى له أكمام يسلك في العنق ويحاط من أمام، كذلك السراويل القصرة أو الطويلة. كما كانوا يضعون على رؤوسهم "الفتور"، كما يلفون رؤوسهم بالعمائم في بعض القبائل، كما اتخذوا الحلي من النحاس والفضة والذهب خواتم وأساور وخلاخل وغير ذلك.

3-**المطعم:** قبل أن يعرف البربر الزراعة كانوا يقتاتون من لحوم الصيد والحيوانات الأنسية وبعض النباتات الطبيعية التي لا تضر بمعدتهم، أما بعد أن عرفوا الزراعة فقد استعملوا من الحبوب أنواعا من الأطعمة (الكسكس).

4-**المكسب:** كان البربر قديماً يكسبون الغنم والبقر والخيول لنتاجها وألبانها وغير ذلك من فوائدها، وانتشر في الفروسية بربر نوميديا، حيث يلبس الفارس منهم لباسا خفيفا ويحمل سلاحا خفيفا أيضا، ويعتلي فرسه من غير سرح ولا لجام، وإنما يمسك بيده قضيبا من خشب يصرف به الفرس طوع إرادته.

كما كانت لهم معرفة بالصناعات المعدنية وزراعة الحبوب، فكانوا يزرعون الفول والشعير والقمح وحبوب أخرى.

- نظام المجتمع البربري:

منذ أن نزل البربر لليبيا لم يكن لهم من غرض في استعمار وطن آخر، ولم يبلغ بهم الجشع أن يسفكوا دماء محترمة. لذلك لم يكن لهم في القديم ملوك عظام وإنما كان منهم أمراء على قبائل وسادات على عشائر.

لقد كانت السلطة المنزلية بيد الرجل ولذلك كانت أنسابهم تابعة لأبائهم لا لأمهاتهم، إن نظام الأمومة كان أيضا حالة من حالات المجتمع البربري، تكون فيه السلطة للأم والأب غير معترف به شرعا والأبناء تابعون لخالتهن في الميراث، لكن هذا ليس عام بين البربر بل خاص ببعض الأوساط ونظام الأبوة هو الغالب.

- لغة البربر وكتاباتهم:

البربر يسمون لغتهم "تماشغت" ولهم لهجات مختلفة، ونرى اليوم فرقا بين لغة زواوة إحدى بطون ضريسة ولغة مصاب (مزاب) من زناتة وغيرهم.

وخلاف ما يقال فقد أجمع المؤرخون من أن البربر جنس حامي، ووطنهم الثاني (ليبية) ساكنهم به طوائف من أمم مختلفة، ولذلك فاللغة البربرية حامية الأصل مشوبة بعدة ألفاظ من الفينيقية وغيرها من لغات الأمم التي جاورتهم أو استولت عليهم.

يقول مؤرخون أن اللغة العربية واللغة الفرنسية استعارتا ألفاظا من البربية. كما كان للبربر حظ خاص بهم، وحروفه تمثل شيئا من أشياء الكون مثل الشمس والهلال والبرق، كان هذا الخط في القديم يترتب من عشرة حروف يسمونها "تيفيناغ"، ومعنى هذه اللفظة الحروف المنزلة من عند الإله، ويترتب من خمسة أشكال يسمونها "تيدباتني ومعناه: الدليل على العمل والتوسع، ويعتقدون أنها من وضع البشر.

وليس للبربر في القديم نظام في الكتابة، يكتبون من اليمين إلى اليسار، ومن اليسار إلى اليمين، ومن أعلى إلى أسفل ومن أسفل إلى أعلى، ولما جاء العرب أثروا بنظامهم فصاروا يكتبون من اليمين إلى اليسار.

- المعتقد البربري:

كان قدماء البربر يعتقدون وجود إله يسمونه "عمون" ولكن يرون أنه ليس له وجود مستقل، وإنما هو روح تحل ببعض الكائنات، مثل: الشمس والقمر والرعد والبرق وغيرها.

لذلك كانوا يعبدون تلك الظاهر وهي ترجع إلى ثلاثة أصول:

1- الكواكب: كانوا يعبدون الشمس والقمر، ويمثلون الشمس بقرني الثور، وقد يتخذون لقرصها تمثالا يضعونه على رأس صورة، كما دلت على ذلك الآثار.

2- الحيوانات: كانوا يعبدون الثور، الكبش، الأفعى، البوم، الحمام، الطاووس، السلحفاة.

3- الروحانيات: كانوا يعتقدون وجود أرواح كالجن في بعض العناصر الطبيعية كالعيون والأحجار والأشجار فيعبدونها ويتوسلون بها إلى نيل ما عجزت عنه قواهم البشرية.

المحاضرة الرابعة

العلاقات بين الممايك البربرية والفينيقيين

تمهيد:

الفينيقيون قوم منسوبون إلى وطنهم فينيقيا، وهي قطعة في الشام ضيقة على ضفاف البحر، يفصلها عن بقية الشام جبل لبنان، هم أمة قليلة جدا لكنها تركت في التاريخ القديم أعمالا قليلة جدا.

كانوا بحريين تجاريين، ربطوا بين الأمم القديمة موصلات ونشروا بذلك حضارات، هم أول أمة دخلت مصر، وبذلك عقدوا مع الفراعنة اتفاقا تجاريا يسمح لهم بنقل بضائعهم من مصر للتجار بها في جزر البحر المتوسط وليبية وإسبانيا، فأصبحوا يشقون بمراكبهم هذا البحر وينقلون إلى من حوله حضارات المشرق.

- أصل الفينيقيين:

الفينيقيون أمة سامية من ولد كنعان بن عمليق بن لاوذ بن سام ابن نوح عليه السلام، كانوا بجزيرة العرب على الخليج الفارسي ثم انتقلوا إلى الشام واختصوا بفينيقيا وصار الشام يقال له أرض كنعان والخلاصة أن الفينيقيين إخوان العرب في نسبهم وجيرانهم الأقدمين في وطنهم.

- الفينيقيون بالجزائر:

الفينيقيون أمة تجارية لا شأن لها بالحروب، وقد كانوا أيام ازدهار مدينة صيدا متوجهين في تجارتهم إلى المشرق، واستعمروا فيه -استعمارا تجاريا- جزيرة قبرص، وخاضوا البحر الأسود وبلغوا القفقاس في القرن الثالث عشر (ق م) سقطت مدينة صيدا بهجوم عليها لغنم ثروتها، فورتتها مدينة صور، زاحم اليونانيون الفينيقيين في الشرق، فالتفتوا إلى البحر الأبيض والمغرب بسفنهم التجارية، وأسسوا مراكز تجارية بصقلية ومالطا وسردينيا والجزائر الشرقية وبلغوا إسبانيا وأسسوا بها مدينة قادس.

صار الفينيقيون يترددون ببضائعهم في الشام والأندلس، يقطعون جبل طارق مقتربين من سواحل ليبيا حتى إذا بلغوا صقلية أبعدوا عن الساحل الإفريقي.

وللاتجار مع الليبيين أنسوا بسواحلهم مراكز يستريحون بها من عناء السفر ويتزودون منها ويصلحون سفنهم، وقد راعوا في موقع مراكزهم أمرين: الامتناع ممن يريدتهم بسوء، والتمكن من نقل بضائعهم بسهولة، ومن هذه المراكز حضرموت (سوسة)، عوتقة (بوشاطر) بتونس، هبون (بون)، إجلجلي (جيجل)، صلاي (بجاية).

ويقال أنّ مؤسسات الفينيقيين بالساحل الليبي بلغت ثلاثمائة مركزاً، وهو معقول لأن السفن كثيراً ما تحتاج إلى الإصلاح وسيرها بطيء، فأهلها مضطرون إلى الاستراحة والاستعداد للسفر بعد السير الكثير.

- تأسيس قرطاجنة:

كانت صور (العاصمة الثانية للفينيقيين) بلغت مبلغاً عظيماً من العمران، كان بها ملك يدعى جبرام، بعد وفاته تأسس بها حزب من عملة الشعب وأصبح يشاغب طبقة الأعيان حتى تغلب عليهم ففروا إلى ليبيا وأسسوا بها مدينة قرطاجنة.

لقد أصبحت قرطاجنة تهدد صور نفسها وأصبحت حامية للفينيقيين بليبيا وصقلية وإسبانيا، أسست قرطاجنة على الخليج التونسي قريباً من البحر، ولحسن موقعها حازت السيادة التجارية.

لقد أصبحت قرطاجنة عاصمة الفينيقيين ومقل عزهم، ثم أصبحت مقبرة عظمتهم ومدفن مجدهم لما جرت حروبها مع الجمهورية الرومانية التي انتهت بتخريبها سنة (146) ق.م.

- مملكات قرطاجنة بالجزائر:

لما تأسست قرطاجنة اقتطع الفينيقيون من داخل الوطن البربري قطعة استوطنها ودخل أهلها تحت طاعتهم، وأطلق على هذا القسم اسم "ليبيا فنيقيا" وعرف الفينيقيون الذين به باسم "اليونانيين" ومن مدن الفينيقيين بالساحل الجزائري: هبون (بونة)، روهيكادا (سكيكدة)، شوكو (القل)، إجلجلي (جبل)، صلداي (بجاية)، روسوقورو (دلس)، بول (شرشال)، أقيسوم (الجزائر).

كما توسع الفينيقيون في داخل الجزائر بالجهة الشرقية، حيث كانت نوميديا الشرقية تحت حمايتهم، ومن مدن هذا القسم: تغاست (سوق أهراس)، مدوروس (مداوروش)، تيفيست (تبسة).

وبما أن الحماية القرطاجنية لم تكن مصحوبة باحتلال عسكري، استطاع النوميديون طرد اليونانيين من وطنهم والتمتع بالاستقلال.

- اللغة الفينيقية وخطها:

الفينيقيون أمة سامية، لغتهم كذلك سامية، أخت اللغة العربية والعبرانية، لغتهم لغة علم وليست لغة أدب لأنهم كانوا تجاريين.

لما انتقل الفينيقيون إلى ليبيا دخلت لغتهم مفردات من اللغة الليبية، فازدادت ثروة، لكنها تغيرت عن أصلها فلقبت باللغة اليونانية.

لما اضمحل الفينيقيون ماتت من بعدهم لغتهم، وما بقي منها باللسان البربري ودخلت عليه العربية من بعد فتعذر تمييزه اختار الفينيقيون من الحروف المصرية اثنين وعشرين حرفاً لكل حرف مخرج ثم قلدهم فيها الإغريق.

لما دخل هذا الخط ليلية مع أصحابه ووجد أمامه الخط الليبي تأثر به وتغير عن أصله فسمي الخط الليبي.

- الديانة الفينيقية:

كان الفينيقيون وثنيين يعبدون الشمس والقمر، الشمس يتخذون لها تمثالاً يدعى "بعلا" والتمر يتخذون له تمثالاً يسمونه "بعليت" (مؤنث بع)، وكانوا يقيمون لهذين الإلهين تمثالين لكل مدينة من مدنها.

يحضرون القربان البشري أمام التمثال ومعهم آلات الطرب يغنون عليها، ثم يلقونه في النار المقدسة التي تجعل لذلك التمثال، الشمس عندهم إله السماء والأرض، يتوسلون لرضاه بتقديم القرابين له، أما القمر فهو إله الحب والجمال، لذلك يعبدونه تارة بالفرح وأخرى بالحزن، وكانوا يمثلون القمر بصورة امرأة بيدها حمامة وعلى رأسها من شعرها صورة هلال.

المحاضرة الخامسة

العلاقات بين الممالك البربرية والفينيقيين

علاقة البربر مع القرطاجنيين:

لم تكن لقرطاجنة مطامع استعمارية – بالمعنى العصري- في بربر الجزائر، فلم تكن تخدعهم أو تمنحهم الأمانى البطالة، وإن عيب على قرطاجنة تفريطها في استغلال البربر فإنما يغيب عليها ذلك أفضل المطامع الاستعمارية، فهي لم تكن ذات خداع سياسي، بل يعترف الجميع بفضلها في العمران الراقي الذي أحسنت به إلى بربر الجزائر من جلب البضائع لوطنهم وتعليمهم الحرف والصنائع.

لقد كانت تستميل الرؤساء والأمراء بالأموال والتقرب إليهم بالمصاهرة، لا لأن تخدعهم في استقلالهم بل ليكفوا عنها هجومات قومهم ورعاياهم أو تستعين بهم في حروبها.

لقد كان لقرطاجنة منذ أواخر القرن الخامس (ق.م) جنود مرتزقة من نوميديا وموريطانيا، والنوميديون هم الذين أعانوا "حنبل" بأوروبا، وإليهم يرجع الفضل في انتصاراتهم الباهرة.

الحضارة القرطاجنية بالجزائر:

لقد استفاد البربر من القرطاجنيين في كثير من الأمور، بحيث يصدق عليهم أنهم تلاميذهم في العمران والحضارة.

لقد كان شجر الكروم والزيتون بأرض البربر من النباتات الطبيعية ولم يهتدوا إلى وجه استثماره، فلما جاورهم القرطاجنيون أخذوا عنهم صناعة عصر العنب للخمر وحب الزيتون للزيت، كما أخذوا منهم كذلك آلة لدرس الحبوب، كما تعلموا تربية الحيوانات، وعرفوا منهم المعادن فاستخرجوها، ومن ذلك النحاس، كما تعلموا منهم صنع الرصاص والحلي.

لقد كان لانتشار هذه الحضارة أسباب مرجعها إلى ما كان بين الأمتين من الروابط، من أهمها:

1- المدن البونيقية: كان يقصدها البربر، يشترون منها بضائع بونيقية ويشاهدون بها حضارة بونيقية، فينقلونها داخل وطنهم.

2- الجنود المرتزقة: كان لقرطاجنة جنود من البربر مرتزقة، يختلط هؤلاء الجنود بالبونيقيين ويتأثرون بحضارتهم، فبعد أن يقضوا بينهم زمنا يعودون إلى أوطانهم ناشرين لتلك الحضارة.

3- أمراء البربر: كانوا يقتبسون من جيرانهم البونيقيين ما يبلغون به أمنيته، فيأخذون من مدينتهم وحضارتهم أمثلة صالحة ينشرونها بين رعاياتهم بمهمة وعناية.

- تأثير قرطاجنة على البربر في الخط واللغة:

لما خالط البربر الفينيقيين تأثروا بلغتهم ومالوا إلى خطهم، حتى صاروا بقرطبة (سرتا) لا يتكلمون بغير الفينيقية، وأصبحت هي اللغة الرسمية بدواوين الحكومة على عهد "مسينسا"، وظهر ذلك على نقودهم الدولية التي عاشت بعيش دولتهم إلى أواسط القرن الأول للميلاد.

وعلى أيدي الملوك والأمراء انتشرت هذه اللغة بين العامة خصوصا في الجهات التي تجاور مملكة قرطاجنة، وقد وجدت كتابات بقالة وقسنطينة وميلة على قبور هذه اللغة، ويرجع تاريخ الكتابات إلى ما بعد سقوط قرطاجنة.

ومن اللغة الأعلام، وقد اتخذ البربر لبعض مدنها أعلامها فينيقية، ومن ملوك نوميديا من سمى أبناءه بأعلام فينيقية، فقد كان لمسينيسا ابن يدعى "منستعل" وابن آخر يدعى "أذربعل".

- تأثير قرطاجنة على البربر في العقيدة:

لما جاور القرطاجيون البربر تأثروا بهم في عقيدتهم وقلدهم في كثير من طرائق عبادتهم وغيروا بعض ما ورثوه عن أسلافهم بما شاهدوه عن جيرانهم.

عبد الفينيقيون إله البربر "أمون" لكن حسب تقاليدهم وبعد تسميته "بعلمهون"، وبعد صنع تماثيل له غير تماثلي التيس والكبش، فقلدهم البربر في تلك التماثيل أيضا وشادوا تماثيل برطة وميلة وقالة، وعبدوا آلهة الفينيقيين "أشارتي" و"جليست"، ومن الآلهة التي بقي اسمها إلى ما بعد الاستيلاء الروماني "بليدير" ومعناه الرب العظيم، وكان معبودا بسيقوس وجوار قالة.

- نشوء الممالك البربرية العظمى:

لقد تكونت علاقات بين الشعوب الجزائرية منذ أقدم العصور التاريخية، وتأسست منهم ممالك كبرى ذات نظام وعمران وحضارة.

صفاقس من ملوك البربر استطاع أن يجند 60 ألفا لمحاربة "سيون" الإفريقي، يوبا الأول جمع لحرب قيصر 50 ألفا، وفي القرن الثاني (ق.م) كان مسينيسا ومصيبسا ويوغرطة ملوكا ما بين طرابلس ومراكش، وقد يمتد حكم بعضهم إلى المحيط الأطلسي.

وقد كان هؤلاء الملوك يحبون الاستبداد بالسلطة والاستقلال بالإرادة والإدارة، لذلك أسلموا قرطاجنة للسقوط وقاموا رومانيا من الدهر.

الحكومات البربرية وراثية محصورة في بيوت منهم سواء في ذلك الملوك ونوابهم.

لقد انتشرت الفلاحة على يد "مسينيسا" وكثيرا مامون "ملوك نوميديا جنود الرومان بالقمح والشعير.

وبتقدم العمران تقدمت الحضارة، فقد شيدت المباني العجيبة من منازل وصوامع وقصور وقباب ومعابد، كل ذلك على نمط الفن الفينيقي أو الفن الإفريقي المركب من الفنين الفينيقي والإغريقي.

ذكر بعض رؤساء البربر:

لما دب الهرم في دولة قرطاجنة ونخرت أعظمها من حرب اليونان والرومان أراد البربر أن يحفظوا استقلالهم فكان منهم ملوك نذكر ما يلي:

1- مطوس: كان زعيم العساكر المرتزقة التي ثارت على قرطاجنة سنة 238 (ق.م).

2- نارفاس كان ملكا بمصيليا: ولما اشتدت ثورة العساكر المرتزقة وحاصروا عدة مدن منها بنزرت وعين أملقار لحربهم رأى أنه لا يقوى عليهم إلا بمساعدة نارفاس، وبذلك تمكن أملقار من محاربة الثوار.

3- غولة: ابن نارفاس خلف أباه على ملك مصيليا، وكانت عاصمته قرطبة، سار على سياسة والده من مصادقة قرطاجنة إلى أن توفي سنة 206 (ق.م).

4- سيفاقس: من أعظم ملوك البربر، كان ملكا على مصيصيليا، عاصمته صيغة، كان هذا الملك معاصر لغولة، ومن أخلاق ملوك البربر التنافس والتخاذل والاستعانة بالأجنبي، كان سيفاقس حليفا للرومان بينما غولة كان حليفا للقرطاجيين.

5- مسينيسا: بن غولة بن نارفاس، تربى بقرطاجنة، خاض مع القرطاجيين حروبهم ضد الرومان بالأندلس.

المحاضرة السادسة

الاحتلال الروماني ومقاومته

تتوسط إيطاليا العالم القديم: واقعة بين عالم الشرق المتمدن وعالم الغرب المتوحش، سكانها أهل حراثة وقيام على المواشي، ثم تعلموا الملاحة والتجارة من بعد، كان بها أمم مختلفة لا صلة لها بعضها ببعض. وعلى أيدي الرومان تكونت الوحدة الإيطالية، حيث أسسوا حكومة ملوكية، دامت إلى سنة 509 (ق.م) ثم خلفتها الجمهورية، وفي عهدها تمكن الرومان من حماية أنفسهم فمدوا أعينهم إلى غيرهم من الأمم قصدا للتوسع ولذة النفوذ.

أصل الرومان:

كانت تقطن إيطاليا فجر التاريخ أمم مختلفة، منها: الغاليا، الأتروسك، الإغريق، واللطين، وموطن اللطين بين الإغريق والأتروسك وكانت هذه الأمة متوحشة، أهل الجبال منها أصحاب مواش، وأهل السلول فلاحون، ومن هؤلاء الفلاحين ظهرت الدولة الرومانية.

وذكر ابن خلدون أن اللطين من يافث بن نوح، وذكر في أبناء يافث يونان وماغوغ، ثم اختلف نقله في نسبة اللطين إلى يونان أو ماغوغ.

تأسيس دولة الرومان:

ينسب بعض المؤرخين تأسيس الدولة الرومانية إلى روملوس باني رومة، وينسب روملوس-تبعاً لأساطير الوثنيين إلى الآلهة-، ويذكر في نشأته ونشأة أخيه ريموس فرانات.

واتفق المؤرخ "ماليت وابن خلدون" على أن آخر ملوك رومة قتل بالمعبد، وبه انتهى الدور الملوكي وذلك سنة 509 (ق.م)، و صار نظام رومة جمهورياً منذ ذلك الحين.

قال ابن خلدون تريون (مؤرخ بني إسرائيل): "وأجمع أهل رومة على أن لا يولوا عليهم ملكاً، وقدموا شيوخاً بثلاثمائة وعشرين، يدبرون ملكهم، فاستقام أمرهم كما يجب، إلى أن تغلب قيصر "وشكل الجمهورية يتألف من قنصلين وشيوخ".

1- القنصل: معناه منفذ الأحكام، ينتخب لمدة عام، وللقنصلين رئاسة الجند ومجلسي الشيوخ والشعب، ولهما النظر في القوانين وعرضها على المجلسين.

2- الشيوخ: يختارهم القنصل من رؤساء الأمر الشريفة، ومن اختير لهذا المنصب يبقى مدة حياته، ويبدي الشيوخ السلطة على الشؤون الداخلية والسياسية الخارجية.

وقد اتسعت ممتلكات رومة على عهد الجمهورية، فبلغت ولايتها سبع عشر: عشر ولايات بأوروبا، خمس بآسيا، واثنين بإفريقية.

لم تكن تقصد الجمهورية الرومانية إلى التداخل في عوائد مستعمراتها وديانتها، وإنما تقصد منها الانقياد لدولتها وأداء الضرائب لبيت مالها.

- ديانة الرومان:

للرومان آلهة عظمية عامة، وآلهة صغرى خاصة بالمنازل أو الأسر، كانوا يعبدون القوى الطبيعية والنار المقدسة والموتى من أسلافهم، وعبادة الموتى هي العبادة الخاصة بالأسر، ويعتبرونهم آلهة خير ما نشطوا لعبادتهم، وقربوا لهم القرابين، وإن هم قصرُوا في ذلك انقلب الأمر إلى شر.

ومن آلهتهم العظمى "جوبيتير" (كوكب المشتري)، وهو إليه المطر، ومنها "جونون" وهي آلهة النور والزواج.

كما توجد آلهة الحرب، البحر، المعادن، الفلاحة، التجارة، وقد بلغ عدد آلهة الرومان مائة وستين إلهاً.

- الحياة الرومانية:

كانت حياتهم بسيطة لا رفاهية فيها، حتى أن من عظمائهم من كان يحرق الأرض بيده، وأكثر أثاث عظمائهم بسيط وأوانهم من خشب.

وحتى بعد الاستيلاء على الأوطان الكثيرة الفنية بنتائجها الراقية في حضاراتها لم تتغير حالتهم، بقوا فلاحين أو جنديين أو سياسيين لا تجاراً، وبقيت الصنائع والفنون بيد غيرهم من الأحرار والمماليك.

ولم يزل الرومان على بساطتهم في اللباس حتى أن الإمبراطور: "فليغولة" غار من لباس "بطليموس" ملك موريطانيا البربري، فانتقم منه بالسجن ثم القتل.

مساكن الرومان كانت خشبية مطينة، ثم أصبحت تبنى بالحجارة فيما بعد.

- الرومان في إفريقية:

انتهت الحرب البونيقية الثالثة بالقضاء على مملكة قرطاجنة وتخريب تلك العاصمة وحلول الرومان محل القرطاجنيين، فاستولوا على التراب الأصلي لقرطاجنة وأطلقوا عليه اسم "مملكة الرومان بإفريقية"، وجعلوا على هذه المملكة أو الولاية واليا مقره "عوتيقة".

لم تكن تطمع الجمهورية الرومانية آنذاك في توسيع هذه الولاية، لعلمها بشجاعة البربر وحماسهم في الدفاع عن وطنهم.

لما ضاقت الأمور بأهل إيطاليا بسبب استحواذ طبقة الأغنياء على أراضيها وجلب العبيد لخدمة تلك الأراضي، أصبح عدد كبير من الإيطاليين لا أراضي لهم يستغلونها ولا عمل يشتغلون به. كان "كابوس" انتخب للمحاماة عن الشعب سنة (123 ق.م)، اقترح لرفع هذه الأزمة إرسال جاليات من الفقراء من المال والعمل إلى الولايات الرومانية، وقد وافقه "روبريوس" من محامي الشعب أيضا سنة (120 ق.م).

قبل الشيوخ اقتراحه، وعني كابوس لتنفيذه، فجاء إلى قرطاجنة على رأس جيش إيطالي قوامه ستة آلاف جندي وسيطر عليها.

- استيلاء الرومان على الجزائر:

بعد واقعة طبسوس سنة (46 ق.م) استعمر الرومان شرقي نوميديا و أطلقوا عليها اسم إفريقية الجديدة أو نوميديا الحديثة، ومنحت نوميديا الوسطى (قرجة والمدن التابعة لها) لستيوس، وأطلق عليها اسم مستعمرة ستيوس.

قتل عرابيون ستيوس فحرم الرومان من هذه المستعمرة، وأصبحت من بعد ذهاب المملكة البربرية ولاية رومانية، أما نوميديا الغربية (قسم سطيف) فقد بقيت بيد عرابيون البطل البربري، والظاهر أن رومة أضافتها إلى مستعمراتها بعد قتله.

أما موريطانيا الشرقية فقد بقيت بيد أمراء بربر بين آخرهم بوكوس الثالث الذي بعد وفاته ألحقت بالمستعمرات الرومانية.

يوبا الثاني الرجل البربري الروماني مهد وطنه للرومان وشجعهم على امتلاكه.

في سنة (42م) بعد قتل بطليموس ألحقت موريطانيا بروما نهائيا وبذلك تم للرومان الاستيلاء على الوطن الجزائري.

المحاضرة السابعة

الاحتلال الروماني ومقاومته (02)

حدود حكومة الرومان بالجزائر:

كان حد حكومة الرومان بالجزائر في القرن الأول للميلاد يمرّ بشمال الأوراس ويجتاز سهول سطيف ومجانة إلى سور الغزلان ثم يتوسع قليلا فيمر بالبواقية وساحل شلف إلى ناحية غليزان، وفي غربي وهران يقترب جدا من البحر وينتهي بمصبّ نهر ملوية، ولم يدخل الرومان الصحراء إلا في عمالة قسنطينة دخولها من ناحية أوراس، أما عمالتا الجزائر ووهران فليس للرومان فيهما إلا الجهات التالية المعبر عنها بموريطانيا القيصرية، وبقيت الصحراء في منجاة من تسلط الرومان.

جند الاحتلال:

اعتمدت روما في فتح الشمال الإفريقي على ثلاثة أشياء:

- 1- السياسة المعلونة: حيث كانت تذكر نار الفتنة بين ملوك البربر، وتعمل لتفرقة المملكة الواحدة بين الأمراء المتنافسين، وإضعاف الغيرة القومية بمحاربة أبطالها.
- 2- الاستعانة ببعض البربر ضد الآخر: حيث صار بعض رجال البربر من أمراء وملوك يخدمونها ويعينونها على أعدائها، فكان لرومة ملوك وأمراء بربريون مصافون لها أو خائفون من عظمتها. وقد استفادت رومة من سياستها تلك فوائد لا تقدر الجيوش القوية على تحقيقها.
- 3- الجند الروماني: كانت رومة كلما اضطرت للحرب جاءت بجنودها والجندي الروماني معروف بإخلاص الطاعة، ولم تحتج رومة في فتح الوطن البربري إلى جيوش كثيرة لأنها لم تجد أمامها جيشا منظما تنظم جيشها إلا في حروب يوغرطة وتاكفاريناس.

النظام الروماني في الجزائر:

إنّ استيلاء الرومان على الجزائر إنما كان تدريجيا وغير ثابت الأركان، لذلك لم يستقر النظام الروماني بالجزائر على حال، في سنة (42 م) قسم الإمبراطور "قلوديوس" الجزائر إلى قسمين: نوميديا: من طبرقة شرقا إلى مساجا غربا، وموريطانيا القيصرية من مساجا شرقا إلى ملوشات غربا.

وقد كان بالشمال النوميدي مدن مستقلة كما كانت جبال جرجرة ممتنعة عن الرومان، وفي سنة (297) بعدما انحلت الصلة بين هذه الجمهوريات، وعمت بها الفوضى، وتغلب "ديوقلتيانس على جبال جرجرة حدث تغيير في نظام الحكومة الرومانية بالجزائر فقسمت إلى أربعة أقسام:

- 1- نوميديا القرطية (وهي الشمال النوميدي) قاعدتها قرطبة.
- 2- نوميديا العسكرية (وهي الجنوب النوميدي) قاعدتها لمبس.
- 3- موريطانيا السطايفية (ما بين مساجا وصلداي) قاعدتها سطيف.
- 4- موريطانيا القيصرية (ما بين صلداي وملوشات) قاعدتها قيصرية.

الحياة البربرية تحت السلطة الرومانية:

بعد الاحتلال الروماني للبربر فإن حياتهم أصبحت تختلف درجة سعادتها ودركة شقاوتها على نسبة النفوذ الإمبراطوري، فالجهات التي يضعف فيها ذلك النفوذ أو يندم تكون سعيدة، والجهات التي يتمكن منها تكون حياة البربر بها حياة العبيد.

انتزع الرومان من البربر بل أراضيهم وأثقلوا كاهلهم بالضرائب وأدخلوهم في الجندية ولم يتمتعوا بحقوقهم الطبيعية.

- 1- الأراضي البربرية: لما جاء الرومان أخذوا كل ما كان مملوكا للملوك والأمراء. فاختمت الحكومة ببعضه، ووزعت بعضه على الرومان الأصليين، ومنحت بعضه قدماء الجند، وما كان مملوكا للشعب بقي لأربابه مع ضرب الخراج عليهم.

- 2- وأما الضرائب، فإنها كانت فادحة، وتنقسم إلى أربعة أقسام:
 - أ- الأداء الشخصي: وهو واجب على الرجل والمرأة، ومقداره مختلف.
 - ب- الأداء على العقار: وهو حبوب، وفي الغالب يكون العشر من حاصل الفلاحة.
 - ت- الأداء على التجارة الخارجية: وهو واجب على السلع المنقولة من عمالة إلى أخرى.
 - ث- سخرة إدارية: منها تموين الجند وإسكانهم، وقد تكون منها كسوة بعض رجال الشرطة.
- 3- وأما التجنيد، فقد كانت رومة تجند من البربر وتنقلهم خارج وطنهم.
- 4- وأما الحقوق، فقد كان الرومان، سواء القادمون من إيطاليا أو من مستعمرات أخرى، لهم التفوق المطلق على جميع السكان، والبربر عندهم متساوون في فرض طاعة رومة عليهم.

الثورات بالرصد البربري:

إنّ التاريخ الجزائري على عهد الرومان مملوء ثورات وحروب، وذلك لعدم ملائمة العنصريين، الحاكم والمحكوم بعضهما لبعض في العوائد والأخلاق، مع ما للعنصر الحاكم من التفوق والاستبداد على ابن البلاد.

منذ أن حلّ الرومان بالجزائر صار الوطن متشابها في قلة الأمن وكثرة الفتن.

ويمكننا أن نقسم الفتن بهذا الوطن إلى ثلاثة أقسام:

- أ- قسم كان بيد ولاية رومانيين تطلعا إلى الإمبراطورية أو تخربا لبعض الأباطرة على بعض.
- ب- قسم ان على أيدي الغائرين من البربر الذين لم تنلهم عاهة الاحتلال سواء خارج الحدود أو داخلها.
- ت- قسم ثالث كان على أيدي البربر الذين لم يرتضوا الحكم الروماني تطلعا للاستقلال أو تطلعا للعدل.

ديانة الرومان في الجزائر:

لقد كان للبربر آلهة رومانية إلى جانب آلهتهم البربرية وما أخذوه عن الفينيقيين، وهكذا عاشت الديانات الثلاث بين ظهرا تي البربر متأخية، غير أنه بمقتضى طبيعة البربر طابع البربرية على الجميع، ومع ظهور الديانة المسيحية تضاددت معها ديانتهم، ولم يتسع التسامح الديني الروماني لها فعارضها، لأن الأباطرة والعظماء رأوا في انتشار هذه الديانة ما يضعف عظمتهم وينقص من غلوائهم

وفي سنة (303) أحدث إمبراطور روما قانونا باتخاذ بعض الأيام لعبادة الآلهة الرومانية، لا يتخلف أحد عن حضور هذا اليوم المعلوم، ومداد الإمبراطور مضاد المسيحية التي تنظره أحقر إنسان في إمبراطوريته.

قام بتنفيذ هذا القانون إلى نوميديا "فلويوس"، ولم يتمثل له كثير ممن تمكنت المسيحية من قلوبهم فقضى عليهم بالقتل، وكثيرة المقتولين دعى هذا العصر عصر الشهداء.

سقوط حكومة الرومان بالجزائر:

ابتدأت علاقة الرومان بالجزائر منذ سنة (213 ق.م) على عهد صيفاقس وتعرفوا بالتراب الجزائري منذ سنة (104 ق.م) بعد يوغورطة، وتصرفوا في التراب النوميدي منذ سنة (46 ق.م) بعد

يوبا الأول، وتم لهم الاستيلاء على الوطن الجزائري سنة (42م) بعد "بطليموس"، فكانت المدة بين ابتداء علاقتهم بالجزائر واستيلاءهم عليها 255 من السنين.

وفي سنة (430 م) انهدم سلطانهم على أيدي الوندال، فكانت مدة حكومتهم بالجزائر 388 من السنين.

طوال هذه المدة فإن البربر ما انفكوا يعربون عن كراهيتهم للرومان، وقد ظلت جهات محافظة على استقلالها وسط الحكومة الرومانية وهي: جبال الأوراس وجرجرة والونشريس، وقد كانت هذه الجهات هي مادة تلقّيح الحركة الاستقلالية.